القصديّة في القرآن الكريم
تأويل ألفاظ الماء أنموذجاً

alqsdyt in the Holy Quran tawil 'alfaz alma' anmwdhjaan

م.د. ليث سعدون كوّه

مديرية تربية محافظة واسط

Author .Dr.Laith Saadoon Koh
Directorate of Education . Wasit Governorate
Email : Zot9247@gmail.com

المستخلص

هدفت الدراسة : إلى دراسة تأويل لفظة " الماء " في النص القرآني دراسة تداولية (القصديّة) منها ، وبيان ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من لفظة " الماء " ، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي ، وتوصّل الباحث إلى عدة نتائج ، من أهمها: إنَّ ذكر "الماء" في القرآن الكريم ورد بصيغ تحمل معنى مختلفاً لا يشابه مثله مع اختلاف القصديّة في القول لما في سياق الآيات من دلالات حقيقية ومجازية ، ولابدَّ من الإشارة إلى إنَّ أهم ما يميز القصديّة – من حيث كونها آلية من آليات إنتاج الخطاب – أنّها تقدّم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم أنْ يكونَ له قصد أو هدف في إيضاح المعنى .

الكلمات المفتاحية : القصدية ، ألفاظ الماء ، التفاسير .

Abstract

The study aimed to study the interpretation of the word “water” in the Qur’anic text, pragmatically (intentionality), and to explain what the Qur’anic verses contain regarding the word “water.” The study relied on analytical lessons, and the researcher reached several results, the most important of which is: If “” was mentioned in The Holy Qur’an is in a form that carries a different meaning that is not similar to its counterpart, with the difference in intentionality in saying, because of the real and

explicitly explains the ability of the speaker to have an intention or The goal is to explain the meaning.
Keywords: intentionality, vocabulary, interpretations.

metaphorical connotations in the context of the hadith, and it must be a league that the most important thing that confronts intentionality - in that it witnesses the continuation of the production of discourse - and confirms it and

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين .

أمّا بعدُ : القصديّة أحدى الدراسات اللسانية الحديثة التي شهدت انفتاحاً حضارياً واسعاً ، فالقصدية لها الأثر الواضح في بلورة المعنى ، فالكلام المفترض يكون له قصدٌ أو هدفٌ ، فالمتكلم يختار ألفاظه عن دراية وقصدية ومعرفة ؛ ولأنّها فرع من علوم اللغة تبحث في كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلم ، أو دراسة معنى المتكلم ، ومن الأسباب التي أدت إلى اختياري لهذا الموضوع : هو أنّ الماء من النعم التي أنعم الله بها على كلِّ الكائنات الحية سواء إنساناً أو حيواناً أو طائراً أو نباتاً فضلاً عن الحقائق العملية الموجودة في القرآن والتي اكتشفها العلم واثبتها العصر الحديث ، وما كان للقصد أثر في اكتشاف الهدف والمعنى ، واقتضى البحث أنْ يكون عبارة عن مقدمة ، والتعريف بالقصديّة وأثرها في كشف المعنى في القرآن الكريم وأمثلة تطبيقية لألفاظ الماء في القرآن الكريم ، وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع ، وإنّى لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في اختياري لهذا الموضوع وطريقة عرضه ، وإذا حصل تقصير ، فذلك من طبع البشر ، والله أسال أن ينفعنا بما علمنا وأن يهدينا ، ويهدي بنا ، فالله هو الهادي إلى الحقّ .

توطئة

القصديَّة :

اللغة ظاهرة اجتماعية في حياة النّاس والمجتمع ، وهي وسيلة تعبّر بها النّاس عن مقاصدهم ورغباتهم ، المتكلم يتأثر عند بناء تركيبه بمقاصده الخاصة فضلاً عن مراعاة حالة المخاطب ، والظروف المحيطة به ، فالقصديّة ، مصطلح عُنيت به المدارس اللّسانية ولا سيما التداولية منها .

القصدية لغةً : قَصَدَ ، القصد : " استقامة الطريق ، قَصَدَ يَقْصِدُ قصداً ، فهو قاصد ، وقولهِ تعالى : "**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**" [سورة النحل : الآية ٩]

أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاءً

إليه بالحجج والبراهين الواضحة ، والقصدُ : الاعتماد الأَمَّ قَصَده يَقْصدُه قَصْداً أي تُجاهَك ، وكونه اسماً أكثر في كلامهم ، والقصْدُ : إتيان الشي ، تقول : قَصَدْتُه وقصدْتَ له وقَصْدتَ إليه بمعنى ، وقد قَصُدْتَ قَصادَةً " (ابن منظور،١٩٩٧، ص٢٦٤) ، قال ابن جرير " والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه " (الطبري، ٢٠٠١ ، ص١٧٤).

اصطلاحاً : القصد فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم (نحلة ،٢٠٠٢،ص١٢).

القصديّة في التراث العربي :

اعتمد علماء اللغة العربية على قصديّة المتكلم ، والمقصود من الكلام بوصفه قرينة تداولية في توجيه كثير من المسائل النحويّة ، ولو نظرنا إلى كتاب سبيويه (ت١٨٠هـ) لوجدنا أنَّ الوصف النحوي عنده ليس جامداً أو خالياً من الدّلالة بل أنّه وصف العلاقات التي تربط أجزاء الجملة الواحدة بعضها ببعض ، وهذا الوصف يعني وصف كلَّ العناصر اللغويّة وغير اللغوية ، من أجل توضيح المعنى ، فالنحو يقوم على المعاني والأغراض التي يريد المتكلم إبلاغها إلى السامع ، ولم يغفلْ سبيويه عن ذلك في توجيه كثير من الأحكام النحويّة(هيثم محمد مصطفى،٢٠٠٤،ص٢٢٨). ويرى ابن السراج (ت٣١٦هـ) : إنّ موضوع دراسة النحو العربي والوقوف على أساليبه وتراكيبه ما هي إلّا تعبيرٌ عن مقاصد المتكلمين ؛ ولذلك عرّفه بقولهِ: " النَّحو إنّما أريدَ به أنْ ينحوَ المتكلّم إذا تعلَّمَهُ كلام العرب ، وهو عِلمٌ استخرجه المتقدِّمون فيه من استقرار كلام العرب ، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتَدِئُون بهذا اللغة" (ابن السراج،١٩٩٩،ص٣٥) ، وابن جني (ت٣٩٢هـ) يرى أنّ اللُّغة " أصواتٌ يعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم " (ابن جني ، ١٩١٣ ،ص٤٤) ، ومن هنا يظهر أنَّ اللغة وسيلة إنسانية للتعبير عن الأفكار والعواطف والأحاسيس والرَّغبات بالأصوات المؤتلفة في كلمات وتصدرُ عن الإنسان بطريقة إرادية في ضوء نظام محكم ومحدَّدِ الأغراض (الخرما،١٩٧٨م،ص١٧٠) ، وعلى الرغم عن مقاصد الإنسان وأغراضه ؛ لأنّها " عبارة المتكلم عن مقصودِهِ " (ابن خلدون،١٩٨٨،ص٣٣٩) ، فالمتكلم يسعى في أداء الرسالة اللغويّة إلى حصول الفائدة ، وممّا لا ريب فيه أنَّ النظام اللّغوي خُلِق للإفادة أي : لتبليغ أغراض المتكلم للمُستَمع (موسى،١٩٨٠،ص٨٧) ، وعند البلاغيين تعدُّ القصديّة من مبادئ البلاغة العربية ، وللبلاغة وظيفة هي وصف الأساليب الخاصة في استعمال اللغة وبحسب تمكّنها في التعبير عن أغراض المتكلم ومقاصِدِهِ

الفنَّية تعبيراً يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المخاطب أو إقناعه بما تقول أو إشراكه في ما يحسُّ به (صمّود،٢٠١٠،ص٤٥) ، ويرى الجاحظ (ت٢٥٥هـ) أنّه : " لا خيرَ في كلام لا يدلُّ على معناكَ أو لا يُشيرُ إلى مُغزاك وإلى العمودِ الذي إليه قصدتَ ، والغرض الذي إليه نزعت " (الجاحظ،٢٠٠٣،ص١١٦) .

لابدَّ للكلام أنْ يدلَّ على معنى وغاية وهدف منشود يرمي إليه ، وأكدَّ الجاحظ على أنّ طرفي الحوار يتمَّ أحدهما الآخر ؛ ولذا نجده يجمع بين هذين الطرفين ويؤيد أنَّ لكلٍّ منهما وظيفة خاصة به غرضها الإفهام ، إذ يقول : " والمُفهِمُ لك والمُتَفهِّم عنك شريكان في الفضل إلّا أنَ المُفهِمَ أفضلُ من المُتفهِّم وكذلك المعُلِّمُ والمُتعلِّم " (الجاحظ،٢٠٠٣،ص١٦١-١٦٢) .

وذهب عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) إلى أنَّ نظرية النظم هي وسيلة للكشف عن مقاصد المتكلمين ، فالمتكلَّمَ يسعى عند إنشائية التركيب اللّغويّ إلى إيصال أغراضه ومقاصده في النطق بحسب ترتُّبها في النفس والتَّرتيبُ يجري في المعاني لا في الألفاظ ؛ لأنّه " لا يكون ترتيبٌ في شيء حتى يكون هناك قصدٌ " (الجرجاني،٢٠٠١،ص٣٦٤) .

ويرى أنَّ معرفة الأغراضِ أو المقاصد تكون من المعاني لا الألفاظ وهذا مفاده قوله : " لا يخفى على حَسنْ له أدنى تميز أنَّ الأغراضَ التي تكون للنّاس في ذلك لا تُعْرَف من الألفاظ ، ولكن تكون المعاني الحاصلة مِنْ مجموعِ الكلام أدَلَّة على الأغراضِ والمقاصدِ" (الجرجاني،٢٠٠١،ص٤٤١) ، ويربط الجرجاني المعاني بقصد المتكلم قائلاً : " وإذا قد ثبت أنَّ الخبرَ وسائر معاني الكلام معانٍ يُنشئها الإنسانُ في نفسهَ ويصرّفها في فكره ، ويناجي بها قلبه فيها لُبَّه ، فاعلمْ أنَّ الفائدة في العلمِ بها واقعةٌ من المنشئ لها وصادرةً عن القاصِدِ إليها (الجرجاني،٢٠٠١،ص٤٤٥).

القصديّة عن المحدثين:

هو مصطلح أوجده علماء الدرس اللساني في العصر الوسيط ، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية (Intendo) ، وهي تعني لديهم الشدَّ أو المدَّ أو التوجّه نحو شيء (ما) (وشن،٢٠١٠،ص٦٤-٦٥) ، وهذا المصطلح لم يأخذْ حيزه في نطاق الدرس اللساني الفلسفي وبقى مقتصراً على بيان المصطلح واشتقاقه حتى قام بإحيائه الفيلسوف النمساوي " فرانز برنتاتوا"(الفرحان،٢٠١٤،ص٧) ، في كتابه (علم النفس من وجهة نظر تجريبية)عام (١٨٧٤) ، إذ كان له أثرٌ في بلورة وتكوين مبدأ القصديّة ، فقد ذهب (فرانز) إلى أنّ القصديّة هي التي تقوم بالإشارة إلى أفكار أو تمثلات الأشياء التي يكوّنها الفعل (وشن،٢٠١٠،ص٦٨) ، أمّا الفيلسوف

(لودفيج فينغثتاين) ، فقد ذهب إلى أهمية القصد في تفاسير معاني الألفاظ فهو يرى أنَّ كثيراً من الأخطاء تحدث بين ما يقصده الفرد أو ما يعنيه والكلمات المستعملة في بناء كلامه فيقول : " أليس ما نعنيه أو نقصده بالعبارة هو ما يجعلها ذات معنى " ويتصل بهذا بالطبع بأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يعني شيئاً لا معنى له من الكلمات " (لودفيج،١٩٩٠،ص١٧٠) .

يبدو أنَّ " أرمينكو " تقترب من تعريف " فيتغنشتاين " لمبدأ القصديّة ، فهي ترى أنَّ القصدَ هو إنجاز الفعل في السياق ، أمّا بمحاثية أو بقدرات المتكلمين " أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعدِ " (أرمينكو،١٩٨٧،ص٩٠) ، وقد تناولها " جون سيرل " بقوله : " هي تلك الخاصيّة لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها " (غرايس،٢٠٠٥م،ص٥٤) ، ومن العرب من تحدثوا عن القصديّة ومقتضاها وذكر أنّه لا كلام إلّا مع وجود القصد وصيغته : الأصل في الكلام القصد (عبد الرحمن ،١٩٨٩،ص٢١٤) .

القصديّة والتفسير القرآني :

تفسير القرآن الكريم في التوصيف ، لا يعدو أنْ يكونَ منطوقاً لغوياً بشرياً ، فالتفسير " هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها "(الطبطبائي،٢٠٠٥،ص٧) ؛لأن القرآن الكريم كلام له معنى ودلالة ولمتحدثهِ فيه قصد(العطار،١٩٩٥،ص١٩)؛ولذلك " نجد تُحكُّم القصدِ الإلهي في النظم القرآني، فما من حرفٍ أو كلمةٍ وضِعَتْ إلّا لقصدٍ الهي وقرار سابق"(إسماعيل،٢٠١٢،ص١٣٦) ، والقصديّة من سمات الأسلوب القرآني ، ويتمثل بـ " قصد القرآن في اللفظ مع وفائِهِ بالمعنى ، ومعنى هذا أنّك في كلِّ جملِ القرآن تجد بياناً قاصداً مقدَّراً على حاجة النفوس البشريّة من الهداية الآلهية دون أنْ يزيد اللفظ على المعنى ، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلقِ مِنْ هداية الخالقِ"(إسماعيل،٢٠١٢،ص١٧٣) ، وهذا من أسرار الإعجاز الآلهي ؛ لذلك "أصبحت القصديّة اللّغويّة تتحرَّك في أنظمةٍ ودلالات غير ثابتة بحسب المقاصد الإلهيّة فكلّ عنصر من عناصر التركيب له وظيفة مقصودة في السَّياق"(رفيدة،١٩٩٠،ص٥٨٠) ، وللوصول إلى المعنى المقصود لابدَّ من البحث في الأمور الخارجة عن النص التي تساعد في الكشف عن المعاني الكامنة وراء النص سواءٌ أكانت ظاهرةٌ أم باطنةٌ ؛ لذلك لا تكتفي بالدلالة المعجمية للألفاظ في بيان المعنى المراد منها ، فلا بدَّ من معرفة القرائن الخارجيّة المحيطة بالنص ، مثل أسباب النزول ، والحوادث المرافقة للنَّص القرآني ، والأعراف والتقاليد الاجتماعية

للمجتمع آنذاك(حضري،٢٠١٠،ص٢٠٢) ، من الأمثلة التطبيقية قوله تعالى : "**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ** " (سورة هود : الآية ٤٤} ، فالمعاني المقصودة والمدركة مقامياً في تفسير النص " من الدلالة على الاقتدار العظيم ، وإنّ السمواتِ والأرض ، وهذه الأجرام السماوية العظام ، منقادة لتكوينه فيها ما شاء غير ممتنعة عليه ، كأنّها عقلاء مييمزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه (مغنية،٢٠٠٧،ص٣٩٤) " ، وكذلك قدرته على كلِّ مقدور ، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له ، والنزول على مشيئته على الفور من غير تريث ، فكلما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبسَ ولا ابطاء " (الزمخشري ،١٩٩٥،ص٣٨٢) ، و(غيض الماء)؛ أي " نقص وذهب في الأرض " (القرطبي،١٩٩٦،ص١٨) .

القصد من لفظة " الماء " يمثل حالة من الفزع والخوف من الطوفان والغرق ، وهو نوع من العقاب الرباني ، إذاً يمكن القول : إنَّ المعيار في تحديد دلالة الكلام قَصْدُ المتكلّم لا ألفاظُهُ ؛ إذ يرى " أنَّ دلالاتِ الألفاظ ليست لذواتها ، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادتهِ " (الآمدي،٢٠٠٣،ص٣١) ،

ويتضح مّما ذكر أنَّ القصديّة أو الهدف هي فرع من علوم اللغة تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم(نحلة،٢٠٠٢،ص١٢) ، وأيضاً قوله تعالى :" **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** " (سورة الرعد:الآية١٧) ، فالقصد الذي يريد إعلامه المفسر للمتلقي في قوله تعالى : أي يمثل الله ويصوّر الحقّ بياناً في صورة الماء والمعادن اللذين ينتفع بهما ، والباطلْ في صورة الزبد الذي لا ينتفع به (فأمّا الزبد) ، وهو الذي يحمله السيل أو يطفو على المعان ، إذا أذيب (فيذهب جفاء) باطلاً ، (وأمّا ما ينفع الناس) ، وهو الماء والمعادن فيمكث في الأرض للخير والحياة" (مغنية،٢٠٠٧،ص٣٩٤) ، والمقصود الحقيقي بتأويل الماء في هذه الآية هو أنّ الله يضرب الأمثال يريد بها الحقّ والباطل وغيرها ، وهذهِ الأمثال من أعجب الصور التي تستطيع أنْ ترسمها الألفاظ ، وفي هذا دلالة على أنّ الباطل " وإنْ علا بعض الأحوال فإنّه يضمحل كاضمحلال الزبد والخبث" (الرازي،١٩٩٩،ص١٤٤) ، وفيه دليل أيضاً على أنّ الحقَّ ثابت يمثل بعداً تداولياً للغة في نطاق استعمالها في إيصال المعنى ، وتحقيق الغرض التواصلي للمعنى من اللغة ، ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى : "**وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ** " (سورة إبراهيم:الآية١٦) ، يظهر أنّ المقصود من قولهِ تعالى: " وهو ما يسيل من جلود أهل النّار (الزمخشري،١٩٩٥،ص٣٧١) ، والماء "

يتجرعهُ ولا يكاد يسغيه لنته وقذارته ، وحرارته ، ومرارتهِ (ويأتيه الموت من كلّ جانب) " (مغنية،٢٠٠٧،ص٤٣٣) ، وفي ضوء الخطاب القرآني ، فالقصد من تأويل الماء الذي شكّل أحد أدوات العقاب يوم القيامة ، وهذا المشهد قصير خاطف ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال ، وقد اشتملت الآية على تحذير العباد من العذاب بقولهِ تعالى : " **وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ**"(سورة الحديد:الآية٢٠) ، ويعدُّ الماء عذاباً في يوم القيامة إذا استمروا الكافرين على كفرهم وتمَردهم على الحقِّ ، وإنّ للأثر القصد في الخطاب دخل كبير في توجيه دلالة النص ، فضلاً عن تحديدها عن طريق مجموعة من القرائن اللفظية وغير اللفظية(ماضي،٢٠١٦،ص١٠) إذاً الألفاظ غاية للوصول للمعنى المراد.

قال تعالى:" **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...** (سورة الحجر:الآية٢٢) ، " الرياح توصف باللواقح ؛ لأنّها تحمل السحاب الماطر ، فتلقح الشجر بما نزل عليه من الأمطار" (مغنية،٢٠٠٧،ص٤٧٢) ، ومنهم من يرى إرسال الرياح التي تلقح السحاب وإنزال الماء من السماء هو بيد الله جلَّ في علاه ، والنّاس عاجزون حتى أنْ يخزنوا هذا الماء ، والله تعالى يفعل كل هذا بقدرته وحكمته وعنايته ، فالأرض التي تحتاج ماءً كثيراً لزرعها ولا تحتمل طبيعتها إنزال المطر عليها يسوق الله إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر فيأتي إليها النيل حاملاً طيناً من بلاد الحبشة ، فتسقى الأرض ، ويبقى الطين على أرضهم ليزرعوها ؛ فأرضهم سباخ يغلب عليها الرمال بحاجة إلى هذا الطين وهذا القدر من الماء (ابن كثير،١٩٩٠،ص٢٤٢) ، القصد الذي أورده النص القرآني : إنّ الماء الذي ينزل من السماء يحمل الحياة والخير والبركات لأهل الأرض ، فبنعمة الله وفضلهِ تنبت الأرض الميتة وتصبح حية غضة ، واقتضت حكمة الله أنْ تتربط الحياة بالماء" " **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** "(سورة الأنبياء:الآية ٣٠} ، القصديّة في التفسير القرآني مبدأ تداولي يراد بها وقوف المخاطب على غرض محدِّثه على نحو موثوق من دون لبس أو سوء فهم. وأيضاً قوله تعالى : " **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**" (سورة الكهف : الآية٢٩) ، يرجّح أنّ المقصود في الآية الكريمة : " (وإن يستغيثوا) من العطش بقرينة قوله تعالى : (يغاثوا بماء كالمهل ...) ، وقيل : ممّا حلَّ بهم من أنواع العذاب ... عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى : (كالمهل: قال : كعكر الزيت فإذا قرّب إليه سقطت فروة وجه فيه..."(الألوسي،٢٠٠٩،ص٢٥٥)

، ماء المهل : هو رديء الزيت الحار ، أو ما أذيب من جواهر الأرض (النسفي،١٩٩٥،ص١٣) ، لقدر الماء من الحرارة أنه " إذا قدم إليهم انشوى الوجه من الحرارة (الزمخشري،١٩٩٥،ص٦٩١) ، فإذا شربوه أحرق بواطنهم ومزقها قال تعالى : " **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**" (سورة محمد : الآية١٥) ، "**بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**"(سورة الكهف:الآية٢٩} أنه لا يسكن عطشهم بل يزيد في احتراق اجسامهم ، وساءت النار منزلاً ومجتمعاً للرفقة ؛ لأن أهل النار يجتمعون رفقاء كما يجتمع أهل الجنة رفقاء " **وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**" (سورة النساء:الآية٦٩) (الرازي،١٩٩٩،ص١٢٠) ، نجد القصد الآلهي في النظام القرآني ، فما من حرفٍ أو كلمةٍ وضعت إلا لقصد الهي وقرار سابق (إسماعيل ، ٢٠١٢ ، ص١٣٦) ، من الأمثلة قوله تعالى : " **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**"(سورة الأنبياء:الآية٣٠) ، هذا دليل على أنّ الماءَ سبب الحياة ؛ لأنَّ الله جعل من الماء الحياة ؛ لكي ينظروا في خلق السمواتِ والأرض ، وفي هذه المادة العجيبة التي جعل الله فيها كلَّ شيءٍ حي ؛ ليهتدوا إلى الله ربّهم وخالقهم وخالق كل شيءٍ ، وممّا يؤكد هذا القول تعالى : " **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ** (سورة النور:الآية٤٥) (الزعرير،٢٠٠٣،ص٢٥) ، نجد في قول المفسر اعتماد على الأجماع في تبين القصد ، والقصد الذي يريد اعلامه للمتلقي في قوله تعالى : إنّ الماءَ سر الحياة ، وقد جاءت ألفاظ الماء في القرآن الكريم مترابطة موجزة ومعبرة " ولو راح الإنسان يدقق في هذا "الماء" الذي يخلق منه الإنسان لأدراكه الدوار ، وهو يبحث عن خصائص الإنسان الكاملة الكامنة في الأجسام الدقيقة البالغة الدقة ، التي تحمل عناصر الوراثة للجنس كلّه ، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين ، لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة من خلق واتجاه في طريق الحياة " (سيد قطب،١٩٧٦،ص٢٥٧٣) ، ويمكن أن نفهم بأنّ القصديّة هي المرتكز الأساس في العملية التواصلية ولبّ العملية الإنتاجية للكلام المتداول ، وأيضاً قوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً** (سورة الحج:الآية٦٣) ، جاء في تفسير هذه الآية المباركة: " وقد وعد الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يضرب مثلاً للدنيا تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة"(الطوسي،١٩٦٢،ص٥١) ، تخضر الدنيا وتتزين بنزول الماء والمقصود من كلام الله أنّه أراد أن يشبه الدنيا بالماء ؛ " لأنّ الماء لا يستقر في موضع ، وكذلك الدنيا على لا تبقى على الواحد ؛ ولأنّ الماء لا يبقى ويذهب ، كذلك الدنيا تفنى ... ؛ ولأن

الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً ، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً ، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر " (القرطبي،١٩٩٦،ص٢٦٨) ، وقد أكثر التداوليون ضرورة توافر قصدين عند المرسل هما قصد التوجه إلى الآخر ، وقصد إفهام الآخر : فيبني على القصد الأول أنّ المتكلم لا يكون متكلماً حقاً ما لم تتوافر لديه إرادة التوجه بكلامه إلى الآخرين ، أما القصد الثاني فيبني عليه أنّ المنطوق لا يكون كلاماً ما لم يرد به المتكلم إفهام غيره (الشهري ، ٢٠٠٤ ، ص١٩١) ، ومن التطبيقات الأخرى قوله تعالى : " **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ** "(سورة النور:الآية٤٥) ، ذُكر في التفسير " ويراد بالدابة وما يخلق بالتوالد بقرينة من ماء أي نطفة وفيه بحث ، وقيل : ما من شيءٍ دابة كان أو غيره إلّا وهو مخلوق من "ماء" فهو أصل جميع الحيوانات " (الألوسي،٢٠٠٩،ص٣٨٢) ، وهذا الاختلاف دلَّ على قدرة الصانع وإن كان الجميع من جنس واحد كقوله تعالى : " **يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ** "(سورة الرعد:الآية٤) ، فالنباتات ماؤها واحد ومع ذلك مختلفة في مذاقها وطعمها ولونها وشكلها وثمرها ، " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا** " (سورة فاطر:الآية٢٧) (الزعارير،٢٠٢٣،ص٢٩) . وأيضاً جاء في (سورة الفرقان ، الآية ٤٨) قوله تعالى: " **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** " ، " المعنى : أنّ الرياحَ تبشر بنزول الماء من السماء وهو طاهر في نفسه مطهر لغير على حدٍّ تعبير الفقهاء " (مغنيه ،٢٠٠٧،ص٤٧٤) ، والقصد في " قوله (ماءً طهوراً) أن يكون للمبالغة في طهارته وجه المبالغة كونه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه فإنّه تشوبه أجزاء أرضية من قعره ، أو ممّا يطرح فيه ، ودليل ذلك " **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ** "(سورة الأنفال:الآية١١) " (ابن حيان ،٢٠٠٥،ص١١٥) ، والقصد من نزول الماء طاهراً يراد به تنقية الهواء أيضاً ويطهره من الشوائب والأتربة ، وعادة بعد نزول المطر يصبح الجو صافياً (الفندي،١٩٧٦،ص٢٢٧) ، ويتضح من القرآن الكريم هو كلامٌ له دلالة ومعنى ، ولمنشئهِ فيه قصدٌ(العطار،١٩٩٥،ص١٩) ، ومن ذلك قوله تعالى : " **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ *أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** " (سورة الواقعة:الآية٦٨-٧٠)، وهدفه نعمة من الله وحدها توجب الشكر الله القادر على كل مقدور بأن جعل كل شيء في الوجود بقدر موزون ، ولو كان جميع الماء عذاباً لأختلف الحياة كذلك ، ولما كان

ماء البحار والمحيطات الذي يشكل الغالبية العظمى من سطح اليابسة لا يتحرك كتحرك الأنهار ومليء بالكائنات الحية ويموت الكثير منها باستمرار ، لو لم تكن هذه البحار ملحة لأنتن البحر وتلوثت المياه ولتعذرت عندها الحياة على شواطئ البحار والمحيطات ، فشاءت إرادة الله تعالى أن يكون ماء الأرض المستقر عليها ملحاً ، وماء السماء المتحرك عذباً وطاهراً ونقياً "**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**"(سورة النمل:الآية٨٨) ومن استقراء معاني القصد في القرآن الكريم وتتبعها في كتاب الله تعالى ، نجد أنّها وردت بألفاظ تدل على في غالبها على المعنى المراد .

الخاتمة

- توصل الباحث أنَّ ألفاظ الماء أكثر الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم بأختلاف دلالالتها .
- إنَّ الماء سر الحياة في الكائنات الحية وعليه ترتكز الحياة ، وقد وجدنا واضحاً في عدد من الآيات القرآنية .
- الماء من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، لأنّه ذكر كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بألفاظ الماء .
- استعمل الماء كمثل يضرب به للتفريق بين الحقِّ والباطل .
- الماء مهم في الحياة الدنيا ، وكذلك يوم القيامة ، فهو يشكّل نعيم لأهل الجنة ، وشقاء على أهل النار .
- القصديّة لها أهمية في إيضاح تفسير معاني الألفاظ في النصوص القرآنية فلا يتضح المعنى من دون معرفة قصد المتكلم .
- نجد القصد الإلهي في النصوص القرآنية إنْ كان حرفاً أو كلمة إلا وضعت لقصد وقرار سابق .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم**
- إبراهيم ، أ.د. سامي ماضي ، (٢٠١٦) ، قصدية الخطاب في نهج البلاغة ، دراسة في مفهوم المعنى بين المتكلم والمخاطب ، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر جامعة الكوفة .
- ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ، (١٩٨٨) ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : الأستاذ حجر عاصي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، (د.ط) .
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي ، (١٩٩٠) ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، (د.ط) .
- ابن محمد ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، (١٩٩٥) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الثاني ، رتبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ .
- ابن منظور ، الإمام العلّامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، (١٩٦٧) ، لسان العرب ، الجزء الخامس – بيروت ، ط١ .
- أرمينكو ، فرانسواز ، (١٩٨٧) ، المقاربة التداولية ، ترجمة : د. سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، ط١ .
- إسماعيل ، د.هناء محمود ، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢) ، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ .
- اسماعيل ، صلاح ، (٢٠٠٥) ، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ .
- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ، (٢٠٠٩) ، روح المعاني في تفسير الكتاب العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) .
- الآمدي ، أبو الحسن علي بن محمد بن سالم ، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣) ، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الجزء الأول ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض – السعودية ، ط١ .
- البغدادي ، أبو بكر محمد بن سهل السراج ، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩) ،

الأصول في النحو ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

❖ بن جني ، أبو الفتح عثمان ، (١٩٥٥) ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوقيفية ، الجزء الأول ، (د.ط) .

❖ الجرجاني ، عبد القاهر عبد الرحمن ، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، بيروت – لبنان ، ط١ .

❖ الخرما ، د.نايف ، (١٩٧٨) ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط١ .

❖ حضري ، د.جمال ، (١٤٣١هـ-٢٠١٠) ، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١

❖ صمود ، حمادي ، (٢٠١٠) ، التفكير البلاغي عند العرب – أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ .

❖ الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ، (١٩٩٩) ، التفسير الكبير ، الجزء (١٤) – دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣.

❖ رفيدة ، د.ابراهيم عبد الله ، (١٣٩٩هـ-١٩٩٠) ، النحو وكتب التفسير ، الجزء الأول ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس – ليبيا ، ط٣ .

❖ الزّعارير ، غالب محمد رجا ، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣) ، الماء في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار الزمان ، ط١ .

❖ الطباطبائي ، العلّامة السيد محمد حسين ، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥) ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ .

❖ الطبري ، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١) ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن الزكي ، الجزء السابع عشر ، دار هجر، ط١ .

❖ الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي ، (١٩٦٣) ، تفسير التبيان ، الجزء السابع ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ومكتبة الأمين – النجف ، (د.ط) .

❖ عبد الرحمن ، د.طه ، (١٩٩٨) ، اللسان والميزان أو التوكثر العقلي ، الناشر: المركز الثقافي العربي ، الدار

البيضاء ، ط١ .
❖ العطار ، د.داود ، (١٤١٥هـ-١٩٩٥) ، موجز علوم القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط٣ .
❖ الغرناطي ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥) ، البحر المحيط في التفسير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت .
❖ فتغنشتاين ، لودفيغ ، (١٩٩٠) ، بحوث فلسفية ، ترجمة وتعليق : مطبوعات جامعة الكويت ، ط١ .
❖ الفرحان ، محمد جلوب ، (٢٠١٤) ، الفلسفة والعلم في تفكير الوجودي الألماني كارل باسيرز ، مجلة فلسفية جديدة ، المجلد السادس ، العدد الثالث عشر ، ط١ .
❖ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، (١٩٩٦) ، الجامع لأحكام القرآن ، الجزء العاشر ، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) .
❖ قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، (١٩٧٦) ، في ظلال القرآن ، الجزء الخامس ، دار الشروق ، بيروت ، (د.ط) .
❖ مصطفى ، د. هيثم محمد ، (٢٠١٠) ، القصديّة الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، العراق ، العدد الثالث ، المجلد العاشر عشر ، ط١ .
❖ مغنية ، محمد جواد ، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧) ، التفسير الكاشف ، الجزء الرابع والسابع ، دار الكتاب الإسلامي ، ط٤ .
❖ موسى ، د.نهاد ، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠) ، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النّص اللّغوي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ .
❖ نحلة ، د.محمود أحمد ، (٢٠٠٢) ، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط١ .
❖ النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود ، (١٩٩٥) ، مدارك التنزيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١.
❖ الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، (٢٠٠٤) ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ .